خطبة صلاة الجمعة 21/ 2/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(كيف أصير من أهل الفجر؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ [الجن: 1] قال ابن كثير: يهدي إلى الرشد أي يهدي إلى السداد والنجاح.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾ [الكهف:10] قال المفسرون: معنى قوله هيئ لنا من أمرنا رشدا، يَسِّر لنا طريقاً سديداً للخير وللحق. والرَشَد والرُشْد هو الاهتداء لطريق الحق.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من يطع الله ورسوله فقد رَشَد، ومن يعصهما فإنه لا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ الله شيئا**».

أيها الإخوة:

هذه الخطبة السادسة عشرة في سلسلة **(دليل إرشادي)**، تتناول كل خطبة منها مشكلة اجتماعية أسرية أو مالية أو أخلاقية وقع فيها عددٌ منا وهو مهتم لمعرفة طريق الخلاص منها، وتقدم الخطبة مادة إرشادية للمبتلى تعينه على تبصر طرق الحل، وتمكنه من الاهتداء للصواب في التعامل مع ما وقع فيه.

وليست الخطب قوالبَ جاهزة تصلح لتطبيقها على جميع الواقعين بالمشكلة؛ لكنها قواعدُ مساعدة تفيد في تبصر طريق الحل، إذْ الاختلاف بين البشر سنة، والقضايا الاجتماعية تحتاج مرونة.

عنوان خطبة اليوم: **(كيف أصير من أهل الفجر؟)**

المسألة:

أرسل يقول: يبدأ أخي يومه مع صلاة الفجر إن لم يكن قبلها، وقرأتُ عمّن لم تفته صلاةُ الفجر في جماعةٍ سنين طويلة، وأسمع أصحابي يتواعدون عند صلاة الفجر في المسجد الفلاني، ويحدثني صديقي عن الاطمئنان الكبير الذي يجده في صلاة الفجر دون سواها، وأنا أغط في نوم عميق ونادراً ما أصلي الفجر على وقتها، وأتحسر على نفسي إذ لم أكن من أهلها، فكيف أصير من أهل الفجر، أرشدوني؟.

الدليل الإرشادي:

في الدليل مقدمة، وفقرتان؛ فضائلُ صلاة الفجر، وأمورٌ معينة على الاستيقاظ لصلاة الفجر.

المقدمة:

اعلم -أيها الأخ الكريم- أن تحسرك على النوم عن الصلاة وتألمِك على فقدها وإرادتَك القيامَ لها نعمةٌ من الله تعالى وهي مقدمة لحاقِك بأهل الفجر؛ لأن مَنْ صَدَق في طلب أمر حصل له مطلوبُه ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 145] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 18 - 21].

فاحمد الله على هذه الإرادة وهذا التحسر، ثم اعلم أن اثنين لا ينامان الخائف والمحب، يُذْهِبُ الخوف والحب النومَ عن عينيهما، ولعلك تعلم أن الطيور تنام نوماً بطيئاً وخفيفاً ومتقطعاً تخاف على نفسها من المفترسات، بل إنها كثيراً ما تنام بإغلاق عين واحدة وفتح الأخرى.

ولابد أنك رأيت أماً جاءها خبر عودة ولدها المسافر غداً أو بعد غدٍ فأطار الشوق والحب النوم من عينيها.

فاسأل الله تعالى أن يملأ قلبك بحبه وخشيته فإذا حصلا حصل كلُّ شيء.

أنشد الشيخ محمد الرواس في حب الله تعالى:

كيف لا أَنْدُبُ الطُّلولَ غَرامَا	وفُؤادي على الطُّلولِ تَرامى
فاعْذُرني يا أَهل وُدِّي بحِبِّي	فلقد علَّمَ القُلُوبَ الغَراما
أَسهرُ اللَّيلَ والِهاً ذا شُجونٍ	وأَرى لَذَّةَ المنامِ حَراما
يا نَدامى والوجدُ أَمرٌ عَجيبٌ	ساعِدونا على الهَوَى يا نَدامى

الفقرة الأولى: فضائل صلاة الفجر:

إنّ معرفتك بفضائل صلاة الفجر وتذكرَك لها يبعثان فيك دافعاً كبيراً للقيام لها والانتظام بها واللحاق بأهلها، وهذه بعض فضائلها:

1- **الدُّخول في ذمة الله تعالى:** أي في حفظه وعهده ورعايته، أخرج البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله، فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ الله مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

2- **صلاة الفجر مجتمع الملائكة:** فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَجْتَمِعُ مَلاَئِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ» يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78].

3- **البشارة بدخول الجنة:** أخرج البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» بَردا النهار: أي طرفاه، والبَرْدين صلاة العصر وصلاة الصبح.

4- **يكتب لك أجر قيام الليل إذا صليتها في جماعة:** أخرج الإمام مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ».

فَقَدَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سليمانَ بنَ أبي حثمة في صلاة الفجر، فمرَّ عمر على أم هذا الشَّاب فقال: لم أرَ سليمان في صلاة الصبح!، فقالت له: إنه بات يصلي طيلة الليل فغلبته عيناه فنام عن صلاة الفجر، فقال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح في جماعةٍ أحبُّ إليّ أن أقوم الليل كلّه.

5- **الأجر العميم**: أخرج الإمام مسلم بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» قال شراح الحديث: المراد بركعتا الفجر هنا ركعتا سنة الفجر، فهما خيرٌ من الدنيا وما فيها، فإذا كانت سنة الفجر هذا حالها فما بالك بفريضة الفجر؟!.

من أجل هذا قال سيدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه في وصف حال الصحابة مع صلاة الفجر: (إن كان المريض لَيَمْشِي بين رجلين حتَّى يأتيَ الصلاة).

6- **النور التام يوم القيامة**: أخرج أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي لفظ ابن ماجه: «الْمَشَّاؤُنَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ، أُولَئِكَ الْخَوَّاضُونَ فِي رَحْمَةِ اللهِ».

وفي رواية ابن حبان: «مَنْ مَشَى فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، آتَاهُ اللهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

7- **الفوز برؤية الله تعالى يوم القيامة –وهي أعظم الفوائد–:**

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» [متفق عليه].

قال الخطابي عندما شرح هذا الحديث: (هذا يدلُّ على أنَّ الرُّؤية قد يُرجى نيلُها بالمحافظة على هاتين الصلاتين، صلاة قبل الشروق وصلاة قبل الغروب الصبحِ والعصرِ).

هذه بعض فضائل صلاة الفجر في جماعة أخذتها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهناك فضائل أُخرى لم أَذْكُرها مراعاةً للوقت. فمن استحضر هذه الفضائل والفوائد وتذكر فوتها عنه بترك صلاة الفجر نهضت همته وقويت عزيمته لأداء الفجر على وقتها.

الفقرة الثانية: أمور معينة على الاستيقاظ لصلاة الفجر.

1- النوم على وضوء وقراءة أدعية النوم وسؤال الله تعالى أن يوقظك عند صلاة الفجر:

عندما تنام سل ربك أن يوقظك لصلاة الفجر، وأرِه من نفسك حاجةً واضطراراً إليها، فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه.

اِقرأ آية الكرسي والمعوذتين وسورة الفاتحة، واقرأ دعاء النوم: «بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ» [البخاري].

2- تخفيف الطعام قبل النوم: فمَن أكل كثيراً شرب كثيراً، ومَن شرب كثيراً نام كثيراً، ومن نام كثيراً فاته الخير الكثير.

3- قيلولة النهار، وعدم إطالة السهر بعد العشاء: ابذل ما استطعت لكي لا تطيل السهر، أخرج البخاري ومسلم عن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم: «**كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا**» إلا إذا كان ضرورة.

4- ترك الذنوب في النهار: فربَّما عوقبت بحرمان صلاة الفجر لأنك أذنبت بالنهار، فاجتهد ما استطعت أن تترك الذنوب، وإن أذنبت فاستغفر وتب مباشرةً.

5- النوم طاهر القلب والفكر من الغل والحقد والحسد والبغضاء والوقيعة في الناس.

6- تغيير عادة النوم من وسادة أو فراش أو غطاء.

7- أوص صاحباً من أصحابك أو أحداً من أهلك بإيقاظك لتذهبا معاً إلى المسجد: وخير صديقٍ وصاحبٍ هو صاحب الفجر.

وبعد أيها الإخوة:

نقول للأخ صاحب المسألة وأشباهه: حين يمتلئ القلب بحب الله وخشيته وحين تصدق الإرادة في القيام لصلاة الفجر ستجد صاحبَ ذلك الحبِ والخشيةِ والإرادةِ -بلا ريب- في محراب الفجر.

راجع مراراً فضائل صلاة الفجر التي ذكرتُها لك، واعمل ما استطعت بالأسباب المعينة عليها، وستكون من أهلها بإذن الله.

وأسأل الله العظيم ذلك لي ولك ولجميع السامعين، والله أعلم.

ختاماً – أيها الإخوة:

أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**».

والحمد لله رب العالمين